



جلالة الملك الحسن الثاني يقدم «للمسيرة الخضراء»

«الحسن الثاني يقدم للمسيرة الخضراء» هذا عنوان كتاب جاء مع مطلع سنة 1990 ليثري مجموعة مؤلفات «تشديد دولة حديثة» وهو صادر عن دار النشر «Plon» بباريس. ويكتسي هذا المؤلف طابعاً فريداً لكون تقديمه تفضل بإنجازه مؤلف مرموق: صاحب جلالة الملك الحسن الثاني مبدع المسيرة الخضراء. وتشكل هذه المساهمة القيمة لصاحب الجلالة شهادة تعطي إيضاحات ثمينة وأساسية تنشر لأول مرة حول منبع المسيرة الخضراء، ورهاناتها وسياقها وتأثيرها على الصعيدين الوطني والدولي. وفيما يلي النص الكامل للتقديم الذي كتبه العاهل الكريم:

إذا كانت المسيرة الخضراء قد أثارت لدى الرأي العام الدولي تعاليق وتأملات بل وحتى عدم التفهم، فإن ذلك يدل على أهمية وقيمة هذا الحدث المجيد، ومع ذلك فإن الأمر في ما يخص المسيرة لم يكن يتعلق برغبة شخصية أو بمغامرة أو قرار لا مسؤول ولا بمجازفة في الميدان السياسي والدبلوماسي، وإنما بعمل نابع من إيمان ملك وشعب. فالمسيرة الخضراء تستمد جذورها ومداها من تاريخ عريق، شكل هوية المغرب العريق والمغرب المعاصر، هذا البلد الذي عرف كيف يوفق بين كفاحه من أجل التحرر وبحثه الدائم عن السلام. وباختصار فإن مثل هذه الملحمة لا يمكنها أن تظهر وتنمو وتتفتح إلا في أحضان بلد التحديات. أما اليوم وقد مرت أربعة عشر سنة على هذا الحدث، فإنه لم يفقد شيئاً من توجّهه كما لازالت فضائله ينعم بها هذا البلد المبارك بالرغم من أن المسيرة الخضراء قد دخلت تاريخ الأساطير، وأصبحت تراثاً عالمياً على غرار الأحداث الكبرى التي طبعت تاريخ الإنسانية. وفي مواجهة إسبانيا المطمئنة إلى رغبتها المتجاوزة في الإبقاء على الإستعمار وتجاهل الحقوق المشروعة لأمة جارة وصديقة لها، استرشدت بتعاليم القرآن وبماضي الشخصي كوطني ناضل من أجل استقلال بلاده كما استرشدت في ذلك بتعلقي بالسلام.

وإنني لأذكر بتأثير بالغ ليلة 19 غشت 1975 في فاس، عندما خطرت ببالي فكرة المسيرة الخضراء، لقد ألهمتني سورة الفاتحة التي كان يهتدي بها الرسول صلى الله عليه وسلم، كيف أتصرف لإفشال مناورات إسبانيا في الصحراء، وأحمد الله على أن هداني سواء السبيل. وقد قادتني هذه النفحة الدينية إلى اختيار اللون الأخضر للمسيرة بإعتباره لون راية الإسلام الغنية بالدلالات. إن مصدر الإلهام هذا، فرض علي أيضاً أن أبقى وفياً لرسالة السلام التي أتى بها الإسلام، كما أن تشبتي بقواعد القانون الدولي سهل مساعي في البحث عن حل سلمي لمشكل الصحراء الشائك. إن رهاني كان إذن اقناع إسبانيا المتعنتة بالتفاوض دون إراقة ولو قطرة دم واحدة. لقد جعلتني تجربتي كمناضل تظاهر عام 1944 كباقي أبناء جيله ضد الحماية أفكر في تنظيم مظاهرة ضخمة. وهكذا تم تصوير وتحديد معالم المسيرة في عزلة وفي جو من التأمل حيث كنت أستمّد كل



نصائحني من إيماني بالله ومن تعاليم ديني الخفيف ومن وعي بخطورة الوضع بالنسبة لمستقبل بلدي وشعبي ، وبعد ذلك ما كان على إلا أن أبلورها أخذا بعين الاعتبار كافة الاحتمالات . وقد كان أول تحد يتعين رفعه ، هو التهييء لهذه المسيرة وتقاسم السر والحفاظ عليه في نفس الوقت .

وكلما ازداد المشروع تبلورا كلما زادتني الأحداث اقتناعا بالقيام بهذه المسيرة . وقد كان الرأي الاستشاري الصادر يوم 16 أكتوبر 1975 عن محكمة العدل الدولية الذي يعترف بصحة وشرعية المطالب المغربية مناسبة ملائمة لي لأعلن في اليوم نفسه عن قراري بتنظيم مسيرة خضراء . ومساء يوم 16 أكتوبر 1975 أضحت المسيرة الخضراء قضية شعب بكامله . فالحماس الذي قابل به شعبي هذا الموضوع كان يفرض علي ، مع ما قدمه لي من طمأنينة وثقة ، اتخاذ جميع التدابير من أجل ضمان نجاحه نجاحا يكون في مستوى التعبئة المكثفة والأمل المعلق على هذه المبادرة . لقد كنت أنتظر من المغاربة التفهم والانضباط والثقة في هذا المشروع الذي كان لا يخلو من مخاطر . ونظم كل شيء وفق قواعد مضبوطة باتفاق وتجانس وفاقته التعبئة كل التوقعات وكان التنظيم هائلا ولكن محكما في ظل من الانضباط والحماس الفياض والهاديء المطبوع بالفرحة والسرور .

إن المغاربة لم يخيبوا ظني ، غير أنه كان علي كذلك ألا أخيب ظنهم . لقد كانوا يؤمنون بهذه المسيرة وبحقوقهم في وقت لم تكن هذه المجموعة المؤلفة من 350 ألف من المشاركين مسلحة سوى بالإيمان والمصحف الكريم والعلم الوطني لقد حرصت على أن أوضح في خطابي يوم 16 أكتوبر 1975 أن المسيرة يجب أن تكون سلمية كما عبرت عن اقتناعي بأن لا أحد سيتجراً على الإعتداء على نساء ورجال عزل . غير أنه لا شيء كان مضمونا ، وقد يحدث كل شيء رغم الضمانات المقدمة للسلطات الإسبانية حول النوايا السلمية الخاصة للمشاركين في المسيرة .

وإذا كان شعبي قد فهم جيدا توجيهاتي وتعليقاتي ، فإنه لم يكن يعلم أن كل فشل كان يعني بالنسبة لي التنازل عن العرش واختيار المنفى . غير أن الله استجاب لكل دعواتي ونجا شعبي من مثل هذه الكارثة .

والواقع أن إرادة هذه الجموع البشرية كانت تفرض الإحترام والإعجاب . لقد كانت المسيرة موجهة لكل الذين كانوا يشككون في عزيمة المغاربة وانضباطهم وحتى عندما أعلنت في أكادير وقف المسيرة تمت الإستجابة لندائي مرة أخرى ونفس الانضباط الذي طبع انطلاق المسيرة ، طبع عودة المشاركين فيها إلى المخيمات بطرفاية .

لقد كان هذا مثالا رائعا على وعي وثقة شعب بأكمله كانت أنظاره تتجه إلى الصحراء . وكانت هذه لحظة حاسمة أتذكرها بكثير من التأثر ، لحظة تشهد على الإلتحام القائم بيني وبين شعبي ، كما تشهد على الحكمة التي تميز المغاربة .

وبذلك تم إعطاء الدليل على أن الشعب المغربي يعرف في الضراء واجبه للحفاظ على كرامته ، بمعنى أن المسيرة الخضراء حتى إذا ما بقيت حدثا فريدا من نوعه ستمكن الشباب من كتابة صفحات بطولية أخرى بكل رصانة كما ستمكنه من مواجهة تحديات أخرى بكل طمأنينة .



لقد أصبحت المسيرة الخضراء مرجعا بالنسبة لشعب بأكمله ومدرسة بالنسبة للأجيال القادمة .
إن المسيرة الخضراء التي أثارت إعجاب ومساندة شعوب أخرى من كل أرجاء العالم لمرافقة
المغاربة في هذه المسيرة الملحمية تشكل نموذجا للحل السلمي للخلافات فقد مكنت من تسوية عادلة
لقضية تصفية استعمار كانت محفوفة بكثير من الأخطار التي تهدد باندلاع حرب بالمنطقة .
إن المغرب القوي بمسيرته بقي مخلصا لروح الوحدة والتعبئة هذه . كما بدأ مسيرات فردية وجماعية
أخرى لتحقيق تنميته وازدهاره وضمان السلم والوفاق بين الشعوب .